

## اليوم معامل «أرامكو»... غدا ماذا؟



خير الله خير الله  
إعلامي لبناني

معطيات خاصة بالوضع القائم. في مقدم هذه المعطيات أن إيران، العاجزة عن الدخول في مواجهة مباشرة مع أميركا، لجأت إلى الرد في الخليج نفسه وفي العراق وسوريا ولبنان واليمن. من المهم ملاحظة أن الضغوط الإيرانية في العراق زادت أخيرا في غياب سلطة عراقية فعلية. كان أبرز ما كشفته هذه الضغوط استيعاب طهران لمقتدى الصدر مجددا، وظهوره في مجلس "المشهد" الإيراني علي خامنئي، لدى إحياء ذكرى عاشوراء، جالسا إلى جانب الجنرال قاسم سليمان.

لم يعد سرا أن الميليشيات المذهبية التابعة لإيران، والتي تعمل بكل حرية في العراق تحت تسمية "الحشد الشعبي"، وضعت الأراضي العراقية في تصرف "الجمهورية الإسلامية"، فيما الولايات المتحدة تتفرج... أقله إلى الآن. هل يفاجئ دونالد ترامب حلفاء الخليجيين فيثبت أنه مختلف عن باراك أوباما، وأن إزاحته لمستشاره لشؤون الأمن القومي، جون بولتون، لم يكون لها تأثير يذكر على المواجهة مع إيران؟

لن يعود مستغربا بعد اليوم، في حال لم تتخذ أميركا إجراءات من نوع مختلف رداً على مهاجمة المنشآت النفطية السعودية، أن يكون هناك لجوء إلى سياسة خليجية مستقلة عن السياسة الأميركية إلى حد كبير. ستستببه هذه السياسة تلك التي اتبعت في عهد باراك أوباما الذي لم يكن يرى مشكلة في استيلاء الإخوان المسلمين على مصر إثر انتخاب محمد مرسي رئيسا للجمهورية في ظروف أقل ما يمكن أن توصف به أنها مريبة.

تحركت دول خليجية عدة، في مقدمتها السعودية والإمارات من أجل إنقاذ ما يمكن إنقاذه ودعم الانتفاضة الشعبية التي أتت إلى تخلص مصر من حكم الإخوان المسلمين الذي سمح بتغلغل إيراني في عمق البلد. ليس سرا أن مجموعة من الدول العربية تحركت بطريقة مستقلة ودعمت خيار الشعب المصري منتصف العام 2013. عندما تتردد الولايات المتحدة، بسبب حسابات خاصة بها العاطفي، في اللجوء إلى الحزم مع إيران، سيحمل ذلك دولا عدة في منطقة الخليج إلى إعادة النظر في مواقفها وسياستها، في وقت تسعى إيران إلى دق إسفين بين هذه الدولة العربية وتلك في النهاية إن دول الخليج العربي كلها في مركب واحد ويفترض بها إبرك أن اللعبة الإيرانية المتمثلة في التركيز على السعودية وحدها، هذه الأيام، لن تمر على أحد.

هناك بكل بساطة وضع مختلف في المنطقة، خصوصا في الخليج. تستطيع أميركا الاكتفاء بسياسة تشديد العقوبات على إيران. لكن ليس في استطاعة دول الخليج الاكتفاء بالتفرج على ردود الفعل الإيرانية التي تستهدفها، خصوصا أن ليس ما يشير إلى أن "الجمهورية الإسلامية" مستعدة للالتزام بحدود معينة، نظرا إلى أنها تعتبر العقوبات الأميركية مسالة حياة أو موت بالنسبة إليها.

لم تعد إمدادات النفط مسألة حياة أو موت بالنسبة إلى الولايات المتحدة التي أصبحت في وضع القادر عن الاستغناء، ضمن حدود معينة، عن نفط الخليج. ولكن ماذا عن بقية دول العالم، بما في ذلك الصين والهند واليابان وكوريا الجنوبية والدول الأوروبية باستثناء بريطانيا وترويض؟ ما الذي ستفعله إدارة ترامب في حال مارست هذه الدول ضغوطا عليها كي تخفف العقوبات على إيران، خصوصا العقوبات على تصدير النفط، وذلك كي تخفف إيران بدورها من التصعيد في منطقة الخليج؟

تدخل المنطقة ومعها العالم مرحلة جديدة في ظل حال من التخبث الأميركي في أساسها رغبة دونالد ترامب في العودة إلى البيت الأبيض بأي ثمن... حتى لو كان هذا الثمن مصاحبة الرئيس الإيراني حسن روحاني والتقاط صورة تذكارية معه. هناك ثمن يبدو المقيم في البيت الأبيض مستعدا لدفعه، فيما لا أحد في المنطقة العربية على استعداد لتحمل النتائج المترتبة على دفع أميركا لهذا الثمن...



## طهران تداري والحشد يغالي



د. ماجد السامرائي  
كاتب عراقي

كلفت طهران رئيس الوزراء العراقي الأسبق نوري المالكي بالقيام بوساطة لحل الخلافات بين قاضي الحشد فالح الفياض وأبو مهدي المهندس، رغم أن من السهل على الجنرال قاسم سليمان القيام بهذه المهمة بين زعيمين يدينان بالولاء لطهران. في ظل تسريبات عن شكوى مقتدى الصدر لدى علي خامنئي خلال لقائه الأخير في طهران بعد فشل محاولته مع سليمان للضغط على المهندس للتخفيف عن رئيس الوزراء عادل عبدالمهدي. هذه الأخبار وغيرها ليست معزولة عن التأثير الذي أخذ يلعبه الحشد في الحياة السياسية العراقية والاقتراب من الهيمنة الكلية على النظام السياسي. ولدت الميليشيات المسلحة في العراق في وقت مبكر من احتلاله، وكانت ومازالت بعد قيام الحشد متعددة العقائد الفرعية داخل المذهب الشيعي، لكن أغلبها موال لطهران خصوصا تلك التي لم تقبل التجنيد داخل المؤسسة العسكرية. لم يكن أحد من العراقيين الحريصين على وطنهم مدركا لذلك الجهد السياسي المنظم الذي اشتغلت عليه طهران للهيمنة على العراق، فقد تسللت تحت غطاء محاربة المحتل الأميركي ودعمت تنظيمات مسلحة عدة تحت عباءة الدعوات القومية الخمينية، في حين أن أهل العراق الشيعة هم أصحاب النسب للنبي العربي محمد (ص) ولقبيلة قريش، وهم أحق في تصدير الإسلام ومذهبه الشيعي إلى إيران وغيرها وليس العكس.

لم تتمكن إيران من السيطرة على جميع الميليشيات الشيعية المسلحة، فقد كان بعضها لديه مرجعيات عراقية لا تؤمن بولاية الفقيه، وحين فشلت في إغواء بعض فصائل المقاومة السننية المسلحة في فترة الاحتلال الأميركي نصبت لقادتها المصائد لاقتناصهم بين عامي 2006 و 2007. كان من الطبيعي رسم دور للفصائل المسلحة الموالية لخامنئي ليحين وقت قطف ثمار ذلك الجهد لحماية نظام طهران وليس نظام العراق. كانت هي المسؤولة والساعية إلى تعميق الخلافات بين زعماء الفصائل المسلحة الرئيسية، بدر وجيش المهدي، وتفريخ منظمات مستقلة، وقد لعب نوري المالكي خلال توليه رئاسة الوزارة لثماني سنوات وبعدها دورا مهما في تلك المهمة، وهو من أذكى السياسيين الشيعة وأكثرهم براغماتية، فهو الذي انقض بالسلاح على جيش المهدي في البصرة عام 2010، في خطوة أضرمت الأميركيين وأعطت الانطباع بأنه بعيد عن طهران، لكنه انطلق من دوافع تحجيج قيادة مقتدى الصدر الذي ظلت مواقفه لا تعبر عن الطاعة العبياء لخامنئي لكونه معتادا بمكانة والده في التشيع العراقي، لكن المالكي سرعان ما استدرد نحو طهران بصورة حيرت الكثير من المراقبين في

تبنيه بناء الميليشيات المسلحة الموالية لها في رسائل عملية ذكية لدعمه في انتزاع السلطة من إيد علاوي عام 2010 وحلمه بولاية ثالثة انتزعت منه كرها، وسلمت إلى نائبه في حزب الدعوة حيدر العبادي وفتحت أبواب الخلافات الحادة بينهما وأصبحت قصة الحشد واحدة من تعبيرات تلك الخصومة السياسية.

المالكي يعتبر نفسه عراب الحشد، وأصدر فور بدء المعارك على داعش عام 2014 مرسوما بتشكيل الحشد الشعبي رغم أن ذلك كان مخالفا للمادة التاسعة من الدستور، وقد نجح في إقناع التشكيلات المسلحة على الدخول في الساحة السياسية وانضمامها إلى كتلته في الحملة الانتخابية عام 2014، ثم التحول الكبير الذي حصل في تعزيز مكانة الحشد بعد احتلال داعش لثلث الأراضي العراقية وصور فتوى السيد السيستاني بالجهاد الكفائي على جميع العراقيين. وقد تم توزيع الفتوى من قبل المالكي بصورة خاصة للدعوة إلى

تحويل الحشد الشعبي إلى مؤسسة وهيئة عامة، وكذلك دعمه لإرسال الفصائل المسلحة للقتال في سوريا دفاعا عن نظامه، وحصلت تعبئة إعلامية واسعة داخل الأوساط الشعبية ركزت على تقديم بطولات فصائل الحشد على دور قطعات الجيش العراقي الذي أصابه الوهن والسعة المعيبة بعد انهياره المدبر وهزيمته في الموصل. كما ارتبطت تلك الحالة التعويبية للتمكن والظهور كقوة رئيسية قتالية، ثم سياسية في ما بعد، من خلال الخطاب التعويبي التقديسي لبعض الفصائل "الولائية" وعدم السماح بمس الكيان الجديد بالنقد أو المساءلة أمام القانون.

لكن ذلك لم يمنع زعامات دينية كبيرة مثل مقتدى الصدر من انتقاد انتهاكات بعضها وأطلق عليها "الميليشيات الوقحة". وكانت جميع التوقعات لما بعد داعش أشارت إلى دور سياسي متقدم لتلك الفصائل المقاومة الانتصار العسكري سياسيا، وهذا ما حصل في انتخابات عام 2018 وأصبحت لتلك الفصائل مقاعد برلمانية تقدر بـ 45 نائبا كانت تقدمها منظمة بدر بزعامة هادي العامري الذي يقود جميع الفصائل تحت اسم الفتح ويرعى الحشد الذي يرأس قيادته فعليا أبو مهدي المهندس، وتبوء فالح الفياض لرئاسة الحشد كان رمزيا بعد إقرار قانونه عام 2016 من قبل البرلمان خلال ولاية حيدر العبادي الذي حاول أن يصد التمدد السريع للحشد وما يمكن أن يخلق من إخراج محلي ودولي لا مبرر له، والذي حصل فعليا في الأيام الأخيرة، بروز الخلافات التي تبدو إدارية بين رئيس هيئة الحشد فالح الفياض ونائبه أبو مهدي المهندس وهي ليست سوى غضب عابر يمكن للمالكي أن يحلله لأنه مرتبط بتداعيات الملف الولائي لبعض فصائل الحشد ومخاطره في زعزعة حكومة عادل عبدالمهدي

طهران تحاول ضبط إيقاعات الجماعات المسلحة الموالية لها وفق سياساتها تجاه واشنطن وليس الذهاب إلى أبعد من ذلك، وهي تداري وأوضاع الفصائل المسلحة وتحميها وترعاها، لكن تلك الفصائل مغالية في التعبير عن ولائها دون مصالح العراق العليا

وحلم المالكي بالعودة إليها، والإبرك في التزامات العراق الوطنية والدولية خصوصا مع الولايات المتحدة. خرجت قضية الحشد من المحلبة إلى محورية أزمة واشنطن طهران بعد أن ادخلت إدارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب نشاط تلك الفصائل في خانة ضرب المصالح الأميركية في العراق، وقررت القيادة الفعلية للحشد والموازية لخامنئي وقاسم سليمان التسريع بمخطط هيمنة الفصائل على الوضع العسكري للبلاد كبديل للجيش النظامي. تمثل ذلك في قرارات نائب الحشد أبو مهدي المهندس وهو قائده الفعلي بتشكيل "القيادة الجوية" بعد أن أخذت شوطا في التشكيلات الأمنية والاستخبارية والإعلامية الخاصة بها، والشروع بممارسة الفعاليات التعويبية لمواجهة ما تسميه تلك الفصائل بالخطر الأميركي في العراق وهو في حقيقته هذا الاستعجال والحماسة العقائدية

في الوظيفة والفعاليات المغالية في التعبير عن الولاء الخارجي وضعا قيادات الحكومة والبرلمان ورئاسة الجمهورية في حرج الخط في المرجعات السياسية للدولة وارتباكها بما يهدد الوضع العام للبلد والعملية السياسية نفسها.

لكن طهران أرادت في أزمته مع واشنطن الانتقال من معادلة "أنها تسيطر على الأرض في العراق مقابل سيطرة واشنطن على سماته"، إلى شمولية السيطرة أرضا وجوا وإخراج الولايات المتحدة كليا من العراق وتخطي العقبات التي يلخصها كثير من المسؤولين العراقيين في عدم القدرة على التخلي النهائي عن دعم واشنطن للعراق تبعا لتواصل المخاطر التي تحيط به. رد إيران كان يقول إنها قادرة على ملء الفراغ العسكري بالتسليح خصوصا في المجال الجوي الذي سيطر عليه الولايات المتحدة منذ 16 عاما.

إيران تتعدى الآن جميع محرمات العراق، ولا يمكن تغطية هذه المخاطر بالأحداث الدبلوماسية العامة من قبيل "أن العراق لن يكون وكلا للصراعات والحروب الخارجية". المشكلة التي لا تستطيع واجهات الحكم في العراق مواجهتها هي النفوذ الإيراني الشامل، أما ترامب فستبقى قراراته العقابية لا تداوي جراح الحالة العراقية التي أوجدها أسلافه في هذا البلد المبتلى. طهران تحاول ضبط إيقاعات الجماعات المسلحة الموالية لها وفق سياساتها تجاه واشنطن وليس الذهاب إلى أبعد من ذلك، وهي تداري وأوضاع الفصائل المسلحة وتحميها وترعاها، لكن تلك الفصائل مغالية في التعبير عن ولائها دون مصالح العراق العليا.

